

الوَخْدَةُ السَّابِعَةُ

بينَ العَرَبِيَّةِ وَالْقُرْآنِ	القراءة المكثفة
التصغير	القواعد (أ)
قصة الوحي	فهم المسموع (القسم الأول)
خصائص الرسالة المحمدية	فهم المسموع (القسم الثاني)
النسب	القواعد (ب)
صاحبُ الجَنَّتَيْنِ	القراءة الموسَّعة

بَيْنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْقُرْآنِ

أَلَيْسَ الْقُرْآنُ كِتَابُ هَذَا الدِّينِ؟ ثُمَّ أَلَيْسَتِ الْعَرَبِيَّةُ لُغَةً هَذَا الْكِتَابِ؟ هَلْ عَرَفَ الْعَالَمُ إِسْلَامًا بِلَا قُرْآنٍ؟ وَهَلْ عَرَفَ الْعَالَمُ قُرْآنًا بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ؟ إِنَّ ارْتِبَاطَ كِتَابِ سَمَاوِيٍّ مُنَزَّلٍ بِلُغَةٍ بَعِيْنَهَا - كارتِباطِ الإسلامِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ - أَمْرٌ لَمْ نَعْرِفْهُ لَغَيْرِ هَذَا الدِّينِ، وَلَغَيْرِ تِلْكَ اللُّغَةِ. وَإِذَا كَانَ غَيْرُ الْقُرْآنِ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ قَدْ حُرِّفَ ثُمَّ تُرْجِمَ إِلَى لُغَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَبَقِيَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ كِتَابًا تَعْبُديًّا مُقَدَّسًا، فَإِنَّ الْقُرْآنَ قُرْآنٌ بِلَفْظِهِ، وَنَصِّهِ لَمْ يُتْرَجَمَ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُتْرَجَمَ. وَإِنْ تُرْجِمَتْ أَفْكَارُهُ وَمَعَانِيهِ، فَهِيَ لَا تُسَمَّى قُرْآنًا، وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ - فِي الْإِسْلَامِ - كِتَابًا تَعْبُديًّا.

هَكَذَا أَوْجَدَ الْإِسْلَامُ ارْتِبَاطًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. وَكَانَ مِنْ أَثَرِ هَذَا الْارْتِبَاطِ الْمُبَارَكِ، أَنْ عَادَتْ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ جُهُودٌ وَثِمَرَاتٌ، لَمْ يَبْدُلْهَا أَصْحَابُهَا - يَوْمَ بَذَلُوهَا - إِلَّا خِدْمَةً لِهَذَا الدِّينِ، - وَلَيْسَ هُنَا مَجَالُ الْحَدِيثِ عَنِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَارْتِبَاطِهَا بِالدِّينِ وَالْقُرْآنِ. - وَمِنْ مَفَاخِرِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَنَّهُ لُغَةُ الْمُعْجَزَةِ الْخَالِدَةِ الْقُرْآنِ.

لَقَدْ شَدَّ الْإِسْلَامُ أَقْوَامًا غَيْرَ عَرَبٍ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَنَشَرَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي بِلَادٍ لَمْ يَكُنْ لِلْعَرَبِ فِيهَا سُلْطَانٌ. لَقَدْ خَرَجَتِ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ مَعَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ، فَإِذَا هِيَ لُغَةُ أَهْلِ الشَّامِ وَالْعِراقِ وَمَا وَرَاءَهُ، وَمِصْرَ وَمَا وَرَاءَهَا، وَإِذَا هِيَ تَتَعَدَّى كَوْنَهَا لُغَةً دِينٍ إِلَى كَوْنِهَا لُغَةً شُعُوبٍ وَدُولٍ.

وَمَا زَالَ لِلْإِسْلَامِ أَثَرُهُ فِي نَشْرِ الْعَرَبِيَّةِ وَحِفْظِهَا فِي الْبِلَادِ غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ أَثَرٌ يَمُوقُ آثَارَ الْمَرَاكِزِ الثَّقَافِيَّةِ، الَّتِي نَرَاهَا الْيَوْمَ مُنْتَشِرَةً فِي بِلَادِ الْعَالَمِ، لِنَشْرِ لُغَاتِ كَالْفَرَنْسِيَّةِ، أَوِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ. إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الْمَرَاكِزِ يُنْفِقُونَ الْمِلَايِينَ فِي سَبِيلِ الدَّعَايَةِ لِمَرَاكِزِهِمْ وَثَقَافَتِهِمْ، وَنَشْرِ لُغَتِهِمْ، عَلَى حِينِ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجْعَلُ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ الَّتِي يَنْتَشِرُ فِيهَا شُعُوبًا رَاغِبَةً فِي تَعَلُّمِ لُغَتِهِ. وَمَا أَكْثَرَ مَا نَسْمَعُ أَصْوَاتًا تَرْتَفِعُ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، مُطَالِبَةً بِإِرْسَالِ الْمُدْرَسِينَ الْعَرَبِ، لِتَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ مُطَالِبَةً بِقَبُولِ أَوْثَانِهَا فِي مَدَارِسِ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَجَامِعَاتِهَا؛ لِتَعَلَّمُوا اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ!

لَقَدْ اسْتَهْوَى الْإِسْلَامُ أَقْوَامًا؛ فَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ لُغَتَهُ، بَلْ لَقَدْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ فَضْلٌ عَظِيمٌ فِي ظُهُورِ عَدَدٍ لَا يُحْصَى مِنَ الْعُلَمَاءِ غَيْرِ الْعَرَبِ، نَبَغُوا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَعُلُومِهَا مِنْ نَحْوِ وَصَرَفٍ وَبَلَاغَةٍ، وَحَسْبُنَا سَيَبَوِيهِ عِلْمًا لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ غَيْرِ الْعَرَبِ، الَّذِينَ بَلَّغُوا الْقِمَّةَ فِي عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ، حَتَّى أَصْبَحُوا مَضْرِبَ الْمَثَلِ.

كَانَ لِلْإِسْلَامِ الْفَضْلُ فِي نَقْلِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، تِلْكَ النُّقْلَةُ الْوَاسِعَةُ مِنْ لُغَةٍ قَوْمٍ إِلَى لُغَةِ أَقْوَامٍ، وَمِنْ لُغَةٍ مَحْدُودَةٍ بِحُدُودِ أَصْحَابِهَا إِلَى لُغَةٍ دَعْوَةٍ، جَاءَتْ إِلَى الْبَشَرِ كَافَّةً، فَكَانَتِ الْعَرَبِيَّةُ بِذَلِكَ لِسَانًا تِلْكَ الدَّعْوَةِ، وَلُغَةً تِلْكَ الرِّسَالَةِ، وَمُسْتَوْدَعٌ مَا صَدَرَ عَنْ تِلْكَ الرِّسَالَةِ مِنْ فِكْرٍ وَحَضَارَةٍ.

(بِتَصَرُّفٍ مِنْ كِتَابِ «نَحْوُ وَعِي لُغَوِي» لِمَازِنِ الْمُبَارَكِ)

صاحب الجنّتين

(١) أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَزَقَهُ ابْنَيْنِ رَبَّاهُمَا، وَتَعَبَ فِي تَنْشِئَتِهِمَا إِلَى أَنْ أَصْبَحَا شَابَتَيْنِ كَبِيرَيْنِ، وَمَعَ أَنْ نَشَأَتْهُمَا وَاحِدَةً، فَإِنَّ طِبَاعَهُمَا كَانَتْ مُخْتَلِفَةً وَمُتَبَايِنَةً. لَقَدْ عَلَّمَهُمَا الْأَبُ زِرَاعَةَ الْأَرْضِ، وَقَدْ أَجَادَا زِرَاعَتَهَا، وَإِنْتَاجَ الثَّمَارِ الطَّيِّبَةِ، وَالْفَوَاكِهِ اللَّذِيذَةِ مِنْهَا، وَمَا هِيَ إِلَّا سَنَوَاتٌ حَتَّى كَبُرَ الرَّجُلُ، وَأَحْسَسَ بِأَنَّ أَجَلَهِ سَيَحِينُ عَمَّا قَرِيبَ، فَجَمَعَ وَلَدَيْهِ، وَنَصَحَهُمَا بِالِاسْتِمْرَارِ فِي الْعَمَلِ، وَالنَّشْأَةِ الصَّالِحَةِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْبَغْضَاءِ وَالْكَرَاهِيَّةِ.

(٢) مَاتَ الْأَبُ، وَتَرَكَ لِوَلَدَيْهِ الْأَرْضَ وَالْأَمْوَالَ، وَأَخَذَ الْأَخُ الْأَوَّلُ نَصِيبَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَالثَّرْوَةِ، وَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَشَكَرَهُ عَلَى النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ، وَقَالَ: يَا رَبِّ.. إِنِّي لَنْ أَنْسَى عِبَادَكَ الْفُقَرَاءَ، وَلَنْ أَتَخَلَّى عَنِ الْمَسَاكِينِ وَالْجَائِعِينَ؛ إِنِّي فِي طَاعَتِكَ دَوْمًا يَارَبِّ... «سُبْحَانَكَ، أَرْجُو مَغْفِرَتَكَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُسَاعِدَنِي عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَلَكَ الْحَمْدُ يَارَبِّ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ».

(٣) وَأَمَّا الْوَلَدُ الْآخَرُ، فَلَمْ يَكُنْ مِثْلَ أَخِيهِ، فَإِنَّهُ مَا كَادَ يَأْخُذُ حَقَّهُ وَنَصِيبَهُ مِنَ الثَّرْوَةِ، حَتَّى اخْتَرَنَ النَّفُودَ فِي مَنْزِلِهِ، وَحَرَّمَ مِنْهَا الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينِ، فَكَانَ إِذَا رَأَى مِسْكِينًا أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، حَتَّى لَا تُحَدِّثَهُ نَفْسُهُ بِالْعُطْفِ عَلَيْهِ، وَإِذَا سَمِعَ نِدَاءً مِنْ فَقِيرٍ، أَغْلَقَ أُذُنَيْهِ، لِكَيْ لَا يَسْمَعَ كَلَامَهُ!! وَهَكَذَا عَاشَ، وَكُلُّ هَمِّهِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى مَالِهِ وَيَزِيدَهُ، فَلَمْ يُخْرِجْ مِنْهُ زَكَاتَهُ كَمَا فَعَلَ أَخُوهُ.

(٤) لَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ كِلَا الْأَخَوَيْنِ مَالًا، وَرَزَقَهُمَا مِنَ الْأَوْلَادِ وَالنِّعَمِ الْكَثِيرِ، وَلَكِنَّ الْأَخَ الثَّانِي الَّذِي لَمْ يَشْكُرْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ قَامَ بِشِرَاءِ بَسَاتِينٍ كَثِيرَةٍ، وَاعْتَنَى بِزِرَاعَتِهَا، وَأَحْسَنَ خِدْمَتَهَا، فَازْدَادَتْ ثَرَوَتُهُ وَأَمْوَالُهُ، وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْبَسَاتِينِ جَنَّتَيْنِ مِنْ أَجْمَلِ الْجَنَّاتِ، فِيهِمَا الْعِنَبُ، وَتَحَوُّطُهُمَا أَشْجَارُ النَّخِيلِ الْبَاسِقَةِ، وَتَجْرِي فِيهِمَا الْأَنْهَارُ مِنَ الْيَنَابِيعِ الْعَذْبَةِ، وَيَحْمِلَانِ الْفَاكِهَةَ اللَّذِيذَةَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ، وَإِذَا مَا نَظَرَ إِلَيْهِمَا النَّاطِرُ، حَسِبَهُمَا جَنَّتَيْنِ، لِشِدَّةِ جَمَالِهِمَا وَحُسْنِهِمَا، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ مِنَ الشَّجَرِ، وَالثَّمَرِ وَالطَّيُورِ، وَالْمَاءِ وَالْيَنَابِيعِ.

(٥) لَمْ تَقِفِ النِّعْمَةُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ رَزَقَهُ اللَّهُ أَوْلَادًا، سَاعَدُوهُ فِي جَلْبِ الرِّيحِ وَالْمَالِ، فَأَصْبَحَ غَنِيًّا لَا مِثِيلَ لَهُ، وَأَصْبَحَ أَكْثَرُ مِنْ أَخِيهِ مَالًا وَوَلَدًا. وَهَذِهِ النِّعْمُ كُلُّهَا لَمْ تَكُنْ عِنْدَ الْأَخِ الْأَوَّلِ، الَّذِي افْتَتَحَ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْمَالِ، وَأَنْفَقَ الْكَثِيرَ مِنْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِلْمَسْكِينِ، وَالْمُحْتَاجِ وَالْفَقِيرِ. وَقَدْ كَانَ مَعَ الْقَلِيلِ الَّذِي عِنْدَهُ، مُرْتَاخَ الضَّمِيرِ، عَفِيفَ النَّفْسِ، يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَشْكُرُهُ، وَيَعْرِفُ حَقَّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ كُلَّمَا جَاءَتْهُ، فَلَا يَبْخُلُ، وَلَا يَكْفُرُ، وَلَا يَجْحَدُ، وَلَا يُنْكِرُ.

(٦) هَذَانِ هُمَا الْأَخَوَانِ: الْغَنِيُّ الَّذِي كَثُرَتْ ثَرَوَتُهُ، وَالْفَقِيرُ الَّذِي اقْتَتَعَ بِالْقَلِيلِ، دُونَ طَمَعٍ، وَلَا بُحْلِ. وَلَكِنْ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا كَانَ أَثَرُ عَدَمِ شُكْرِ الْأَخِ الثَّانِي لِلنِّعَمِ وَالْغِنَى؟ وَبِمَاذَا قَابَلَ أَخَاهُ الْفَقِيرَ، عِنْدَمَا دَخَلَ عَلَيْهِ؟ حَدَّثَ هَذَا ذَاتَ مَرَّةٍ، وَلَمَّا رَأَهُ اسْتَهْزَأَ بِهِ، وَسَخِرَ مِنْهُ، وَقَالَ: انْظُرْ إِلَى حَالَتِكَ، كَيْفَ أَصْبَحْتَ لَا تَمْلِكُ مَالًا، وَلَا وَلَدًا. أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا، وَأَكْثَرُ أَوْلَادًا. تَعَالَ ادْخُلْ مَعِيَ جَنَّتِي الْجَمِيلَتَيْنِ، وَشَاهِدْ أَمْلَاكِي الْكَثِيرَةَ، تَعَالَ لِي تَرَى الْكُرُومَ وَالْفَوَاكِهَ، وَالْأَنْهَارَ وَالْجَمَالَ، وَالْخَيْرَ الْكَثِيرَ. إِنَّ جَنَّتِي تَزِيدَانِ رَبِحِي وَعَطَائِي، وَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ النِّعَمَ وَالْخَيْرَاتِ كُلَّهَا سَتَدُومُ، وَلَنْ يَقْطَعَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ هَذَا الرِّزْقِ الْوَفِيرِ، ثُمَّ سَكَتَ قَلِيلًا. وَقَالَ: وَأَمَّا عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي تَخَافُ مِنْهُ، فَإِنِّي لَا أَظُنُّ أَنَّ هُنَاكَ يَوْمًا كَهَذَا الْيَوْمِ. وَإِنْ اعْتَقَدْتُ مَعَكَ بِوُجُودِ الْحِسَابِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعْطِينِي هُنَاكَ، خَيْرًا مِمَّا أَعْطَانِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، أَلَا تَرَاهُ قَدْ رَزَقَنِي الْآنَ؟ فَلَا بُدَّ أَنَّهُ يَرْزُقُنِي فِي الْآخِرَةِ، إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ آخِرَةٌ كَمَا تَزْعُمُ!! وَأَنَا أَسْتَحِقُّ هَذَا. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَتَابَعَ ضَحِكُهُ وَاسْتَهْزَأَهُ.

(٧) نَظَرَ إِلَيْهِ الْأَخُ الْمُؤْمِنُ، وَبَكَى شَفَقَةً عَلَيْهِ، وَأَحَبَّ أَنْ يُصَحَّحَ اعْتِقَادَ أَخِيهِ الْكَافِرِ، وَأَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى الْإِيمَانِ، فَقَالَ لَهُ وَهُوَ يَعِظُهُ: يَا أَخِي، أَكْفَرْتَ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ الْجَنَّةَ، وَالْمَالَ وَالْأَوْلَادَ؟ أَكْفَرْتَ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ فِي بَطْنِ أُمِّكَ، وَجَعَلَكَ طِفْلًا، ثُمَّ شَابًا قَوِيًّا؟ أَيْعِزُّكَ اللَّهُ عَنْ خَلْقِكَ مَرَّةً ثَانِيَةً، بَعْدَ أَنْ يُمِيتَكَ وَتُدْفَنَ فِي التُّرَابِ؟ يَا أَخِي.. أَلَيْسَ الْخَلْقُ مَرَّةً أُخْرَى أَهْوَنَ مِنَ الْأُولَى؟ وَكُلُّهُ عَلَى اللَّهِ هَيِّنٌ.. أَلَا تُرِيدُ أَنْ تُزِيلَ هَذَا الْكُفْرَ عَنْ عَقْلِكَ؟ وَهَذَا الشُّرْكَ مِنْ قَلْبِكَ؟

(٨) ثُمَّ إِنَّكَ يَا أَخِي تَشْمِتُ بِي، وَتَفَخَّرَ عَلَيَّ بِأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ مَالًا وَأَوْلَادًا أَكْثَرَ مِنِّي. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ فَقِيرًا لَا أَمْلِكُ مَالًا، وَلَا وَلَدًا، فَإِنَّ نَفْسِي غَنِيَّةٌ مُؤْمِنَةٌ، لَا تَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَأَنَا أَعْتَقِدُ يَا أَخِي أَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ، وَأَنَّ الْمَالَ لَنْ يَبْقَى، وَأَنَّ الْأَوْلَادَ سَيَمُوتُونَ مِثْلَنَا... لَا تَعْجَبْ إِنْ أَرَاكَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَمْوَالَ وَالْجِنَانَ الَّتِي تَمْلِكُهَا مِنَ الْوُجُودِ، وَجَعَلَ أَنْهَارَ جَنَّتَيْكَ جَافَّةً، وَأَشْجَارَهَا يَابِسَةً، وَلَيْسَ هَذَا صَعْبًا عَلَى اللَّهِ، وَلَنْ يَعْجَزَ عَنْ ذَلِكَ أَبَدًا.

(٩) يَا أَخِي، أَلَا تَفَكَّرُ أَنْ تَقُولَ إِذَا دَخَلْتَ جَنَّتَيْكَ: (مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)؟ إِنْ كُفِّرَكَ لَنْ يَنْفَعَكَ يَا أَخِي، فَارْجِعْ إِلَى الْهُدَى، وَآمِنْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَاشْكُرْ نِعَمَهُ عَلَيْكَ، وَلَا تَكْفُرْ بِهَا، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعَاقِبَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَمَامَ عَيْنَيْكَ.

(١٠) وَلَمْ يَسْمَعْ الْكَافِرُ كَلَامَ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ.. بَلْ أَزْدَادَ كُفْرًا وَعِنَادًا، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تَطْهِيرِ قَلْبِهِ وَإِزَالَةِ الْكُفْرِ عَنْ صَدْرِهِ. لَقَدْ نَصَحَ لَهُ أَخُوهُ، وَدَلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُحَاوِلْ أَنْ يَفْتَنَعَ وَيَفْهَمَ، وَأَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَيَحْمَدَهُ وَيَشْكُرَهُ. هَلْ يَتْرُكُهُ دُونَ عِقَابٍ؟.. هَلْ يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَالشُّرْكَ؟ وَهَلْ سَيَبْقَى الْكَافِرُ يَلْهُو وَيَرْتَعْ فِي الضَّلَالِ؟